الألفاظ العربية في اللغة البربرية

للأستاذ محمد الفاسي

ألقيت (١) في أحد مؤتمرات المجمع السابقة بحثاً عنوانه « البربرية شقيقة العربية » وبينت فيه استناداً إلى النحو والصرف أن البربرية لغة سامية ، وأوردت حججاً على ذلك بالمقارنة مع العبرية والأكادية والأمهرية والعربية الفصحى . ولم أعتبر المفردات العربية التي اقتبسها البرابرة بعد إسلامهم واختلاطهم بالعرب عن اللغة العربية كما هو الشأن في اللغات الإسلامية الأخرى . وإني أشتغل منذ سنين بأثر اللغة العربية على هذه اللغات وهي لغات الأمم العجمية التي بقيت مستعملة في البلاد التي اعتنقت الإسلام، ولكنها حافظت على لغاتها في المخاطبة وفي نظم الشعر مع استعمال العربية في التأليف الخاصة بالعلوم النقلية ، والعقلية .. وهكذا نرى مثلا العالم الرياضي الكبير عمر الخيام الفارسي يضع كتبه في العلوم الرياضية باللغة العربية وينظم رباعياته التي جعلت له شهرة عالمية باللغة الفارسية حتى غطت شهرتها على إنتاجه العلمي خصوصاً عند الغربيين ولم يعرفه العالم العربي إلا في هذا العصر الحديث بتأثير الغرب حيث أخذ العرب يترجمون هذه الرباعيات إلى لغاتهم ولم يكونوا يعرفونه إلا كعالم ، وبهذه المناسبة أنبه إلى أن خمرياته التي تتضمنها رباعياته لا يعنى بها الخمر المسكر وإنما هي إشارات صوفية على غرار الشاعر الصوفي ابن الفارض صاحب الخمرية التي يقول فيها :

شربنا على ذكر الحبيب مُدامة
سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

فشوهوا بفهمهم السطحي مذهبه وأخذوا يطلقون اسمه على الحانات والمراقص ونحوها وهكذا عن كل الشعراء الذين وضعوا دواوينهم

---

(١) ألقي في الجلسة الثامنة يوم الاثنين ٢٨ من رجب سنة ١٤٠٩ هـ الموافق ٦ من مارس (آذار) سنة ١٩٨٩ م .

بالفارسية كمولانا جلال الدين الرومى صاحب المثنوى وفريد الدين العطار صاحب منطق الطير والسعدى والنظامى وغيرهم ...

ومثل هذا نراه عند علماء البربر فإنهم وضعوا كتبهم فى العلوم الإسلامية وفى العلوم العقلية بالعربية ولكنهم على خلاف الأعاجم الآخرين نظموا الشعر كذلك بالعربية الفصحى كالشاعر الكبير أبى العباس أحمد بن عبد السلام الجراوى شاعر الموحدين مثلا ، وليس معنى هـذا أنهم لم ينظموا الشعر بالبربرية لكن نتاجهم بهذه اللغة لم يدون وبقى شعراً شعبياً يتغنون به فى حفلاتهم ويتداولونه فيما بينهم ولقد جمعت منه الشىء الكثير عندما كنت منفياً مع جماعة من الوطنيين من سكان القبائل البربرية .

وكما قدمت فإن البرابرة الذين اعتنقوا الإسلام أقبلوا على اللغة العربية حتى استعربوا كلهم ولم يبق من يتكلم البربرية إلا القاطنون فى أعالى الجبال والشيوخ والعجائز ولكن بسبب تداخلهم مع العرب خصوصاً بعد دخول موجات الأعراب من بنى هلال وسليم إلى المغرب الأقصى فى القرن الخامس اقتبسوا من العربية ألفاظاً تبلغ نسبتها أكثر من خمسين فى المائة من لغتهم وهذه نسبة متوسط الألفاظ العربية فى اللغات الأعجمية فهى تتراوح بين سبع وستين فى المائة فى الفارسية وسبع وأربعين فى التركية وقد كنت حدثتكم عن الألفاظ العربية فى التركية وفى السواحلية فى مؤتمرات سابقة .

والآن أريد أن أتطرف إلى أساليب اقتباس البرابرة للألفاظ العربية وإدخالها فى لغتهم .

أولا : بكيفية عامة يأخذون اللفظ كما سمعوه ، مثلا : إن البربرية لا أداة تعريف فيها أو أنها صارت لاصقة بالكلمة تنكيراً وتعريفاً فإنهم يأخذون الكلمة بلامها حيث لا يسمعون الهمزة من — ال — التعريف فيقولون مثلا : لكأس وإذا أضافوه إلى الضمائر يقولون : لكاسينو أى كاسى كأن اللام أصلية .. وهكذا فى كل الكلمات التى تبتدئ بحرف قمرى . أما التى تبتدئ بحرف شمسى فيأخذونها بالتشديد كما يسمعونها ، مثلا : زيتون وسوق — دروج أى المدارج دق أى الحلى من دق الذهب أو الفضة أى سبكها .

ومن طرقهم فى اقتباس الألفاظ من العربية أنهم إذا رأوا فى كلمة عربية فى أولها تاء اعتبروها مؤنثة لأن التاء عندهم فى أول الكلمة علامة الاسمية للمؤنث . والتاء فى الأخير علامة التأنيث للبشر وللحيوانات وعلامة التصغير فى غيرها من المفاهيم كما فى العربية وعليه فإنهم يستخرجون من الكلمة العربية التى تبتدئ أو تنتهى بالتاء مذكراً لها ، فثعلب مثلا : — والثاء المثلثة تنطق تاء فى المغربية — قالوا فى المذكر : أعلبون وأنشوه على طريقتهم بتاعلبتونت والحانوت استخرجوا منه مذكراً

هكذا أحانوا وصغروه بتّاحانُوتْ أى دكان صغير .

ومن طرقهم فى ذلك أنهم إذا رأوا فى كلمة عربية مفردة النون فى آخرها اعتبروها جمعاً لأن جمع المذكر السالم عندهم بالنون كما هو الشأن فى العربية فمثلا : لسان ظنوه جمعاً واستخرجوا منه مفرداً هو إلس ، وجمعوه على إلسان ويفعلون كذلك بجمع التكسير العربى المنتهى أصلا بالنون ، فمثلا : المصارن وهى الأمعاء أخـــذوا منه إصرم بالقلب وجمعوه على إصرْمان .

ومن ذلك أنهم يأخذون الكلمة المؤنثة العربية المؤنثة معنى ويجعلون لها علامة الاسمية المؤنثة ، وفى آخرها تاء التأنيث المسكنة فى لغتهم مثال ذلك العين بمعنى منبع الماء جعلوها تالعيـنْـتْ . وتالـاعُـونـتْ أى الماعون وهو عندهم مؤنث وتادارت أى الدار .

ثم إن الكلمات العربية المؤنثة بتاء التأنيث يأخذونها غالباً كما هى ولكن يجعلون تاءها مسكنة على طريقتهم مثال ذلك لبهينت أى البهيمة مع قلب الميم نوناً ولخبيت الخابية أى الجرة ولغابت الغابة ولغايت الغاية .

ومن أساليبهم أنهم يستعملون لأسماء الحرفة الصيغة العربية فعال ويؤنثونها على طريقتهم فيقولون للنجارة : تانجارت.

وللحدادة تاحدادت ، وهكذا دواليك وهذه الصيغة البربرية أخذها المغاربة فى لغتهم العامية فنقول كذلك : تعطارت وتادباغت لمهنة العطار والدباغ .

وإذا كانت فى العربية كلمة تنتهى بتـاء أصلية اعتبروها للتأنيث وزادوا فى أولها تاء الاسمية للتأنيث مثال ذلك الياقوت بمعنى اللؤلؤ قالوا فيها : تالياقوت .

وكثيراً ما يجمعون الكلمة العربية على طريقة جمعهم فيقولون لجمع الدار أى : تادارت : تيدار جمع تكسير .

ومن الظواهر التى تدل على مقدار تأثير اللغة العربية على البربرية أن البرابرة أخـذوا كلمات لا تستعمل فى العربية العامية المغربية ومعنى ذلك أنهم أخذوها مباشرة من الأعراب الوافدين على المغرب فى حين أهملها المستعربون من قبلهم من المغاربة من أهل المدن وذلك نحو لغمد أى الغمد غشاء السيف وتيمصليحت أى المصلحة ويعنون بها المكنسة .

ومن طرقهم فى الاقتباس أنهم أخـذوا كلمات عربية وأعطوها معنى خاصاً ليس لها فى العربية وذلك مثل آسليخ بمعنى الجلد من سلخ ولمفتاح بمعنى شوكة التلقيح تفـاؤلا : وإنسلمن بمعنى الجنة من المسلمين . ولعايل بمعنى الطفل من العائلة ولمجر بمعنى المحراث أى ما يجر .

ثم إن البرابرة يعمدون كثيراً إلى القلب ما بين الحروف فى الكلمات العربية عند إدخالها فى لغتهم والأمثلة على ذلك كثيرة فمن قلب الميم نوناً : تاخديدنت أى الخاتم . وفى هذا المثال قلبوا كذلك التاء دالا وتالقينت أصلها تالقيمت أى اللقمة .

ومن قلب القاف غيناً : إمرغان أى المرق وهو جمع صيغة ومفرد معنى ، لأن اللغة البربرية لا تستعمل المفرد لما كان مظهره غير كتلة واحدة وليس لهذه الألفاظ مفرد من لفظها . فالماء مثلا : سمى أمان الذى إذا جرد من أداة الاسمية المذكرة ومن نون الجمع يبقى ما ، وهذه الظاهرة نفسها نراها فى العبرية حيث يسمى الماء ميم بالإمالة وميم الجمع التى تقوم مقام النون فى العربية والبربرية . وهذا مما يؤيد أيضاً أن البربرية لغة سامية ، ومن الأمثلة كذلك : إيردن القمح وطومزين الشعير وهما جمعان .

ومن قلب الطاء ضاداً : آضبيب الطبيب وشرض أى الشرط .

ومن قلب الضاد طاء : لحفطت أى الخفضة ، فى الرسم وروط أى المقبرة والأصل الروض

ومن قلب الدال تاء : لنتفع أى البندقية من المدفع وفى هذا المثال قلبت الميم نوناً أيضاً .

ومن قلب الدال ضاداً : أمياض : الصياد

ومن قلب الصاد زاياً مفخمة : زوم أى صوم .

والواو المشادة تقلب واوها الأولى قافا معقدة مثل ذلك : إخكوان أى كأنها إخوان من الخوانين بمعنى السراق عندهم .

ويقلبون لام أل التعريف راء فى بعض الكلمات نحو : أربعض أى البعض وأرجامع أى الجامع بمعنى الكتاب وفى المدن يقال له : المسيد من المسجد وأرجهاد أى الجهاد .

وبعض القبائل تنطق الكاف شيئاً فيقولون مثلا لمبارك : مبارش وآشريش الشريك ، ولشيل الكيل ولوشيل الوكيل وهذا النطق كان عند بعض قبائل العرب ولا يزال فى اللهجة العراقية .

ومن أساليبهم القلب الاصطناعى كما فى العربية أعنى تقديم حرف على آخر نحو : تاغريفت أى كأنها تارغيفت الرغيفة وشرف أى قطع من رشق .

وأحياناً يتصرفون فى الكلمة العربية بشتى الأساليب حتى يحجب نطقها الأصلى . فمثلا يسمون المسجد تمزكيدا ومنها أخذ الأسبان اسم المسجد إذ يسمونها Mesquita

ويستعملون أيضاً الإدغام فيدغمون مثلا الدال فى النون فيقولون : صنوق للصندوق ونم للندم . ونه لنده ... إلخ .

ويدغمون الدال فى اللام فيقولون لوالين للوالدين .

وبعد ، فهذه نماذج من الأساليب التى استعملها البرابرة فى نقل ألفاظ عربية إلى لغتهم ومختلف لهجاتها .

ومن خلال الأمثلة التى أوردتها يظهر اتساع هذا الأخذ وهو كما قلت يقدر بخمسين المائة من مجموع اللغة البربرية التى تسمى أيضاً الأمزيغية لأن البرابرة يسمون أنفسهم إمازيغن جمع أمزيغ أى الإنسان الأبيض الحر — ولقد وضعت قاموساً بربرياً عربياً فرنسياً أنا فى صدد إخراجه لدفعه للطبع قريباً إن شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد الفاسى

عضو المجمع من المغرب